

# سُورَةُ الْإِنْسَنِ



**النَّزْوُلُ:** مكية في قول جمهور العلماء، وهو الذي تعصده الروايات، ويناسبه موضوع السورة، وتتوافر خصائص الآيات المكية فيها، وقيل: هي مدنية، وقيل: بعض آياتها مدنية، وكلاهما لم يصح. (المكي والمدني من سور والأيات ٤٧٢ - ٤٧٨).

## فضل السورة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر **﴿الَّمَّا تَبَرَّلُ الْكِتَابُ﴾** [السجدة: ١ - ٢] و**﴿هَلْ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾**. (رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ومسلم في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة).

## المقصود:

- ١ - تقرير توحيد الربوبية لله تعالى.
- ٢ - تقرير البعث والحساب.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِّنَ الْدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ إِنَّا خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَنًا مِنْ نُطْفَةٍ  
 أَمْشَاجٌ تَتَبَلَّهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّيِّلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ إِنَّا  
 أَعْنَدْنَا لِلْكُفَّارِينَ سَلَسِلًا وَأَغْلَدَّا وَسَعَيْرًا ﴾

## التفسير:

**١** - قد مرَ على الكون مُددٌ متطاولة من الأزمان، وهو حالٍ من وجود جنس الإنسان، وذلك قبل خلقٍ لهذا المخلوق، فلم يكن معلوماً ولا موجوداً، فالاستفهام بـ (هل) للتقرير.

**٢** - ثم خلق الله تعالى الإنسان، وجعل لهذا الخلق مراحل تبدأ من النطفة، وهي الماء القليل المحتقر، إذا استقرت في الرحم، والتقت بالبوية واختلطت بها، إلى أن يتكون خلق الإنسان، فيولد مخلوقاً سوياً يسمع ويري، والحكمة من الخلق هي الابتلاء والاختبار.

**٣** - بعد أن أعلم تعالى بالحكمة من الخلق وهي الابتلاء، أعلمهم بأنَّه يَسِّرَ لهم سبل الهدى الموصلة إلى التوحيد والطاعة، يهتدى بها أنس، فيحمدون الله ويشكرون، ويضل عنها آخرون، فيكفرون بالله سبحانه.

**٤** - بعد أن ذكر الله تعالى انقسام الناس إلى مؤمن وكافر، ذكر جزاء كل فريق منهم، بإيجاز في جزاء الكافرين، وتوسيع في جزاء المؤمنين، فقد هيأ الله سبحانه للكافرين به صوراً متعددة من العذاب، منها القيد في السلاسل، وتشد أيديهم إلى رقبتهم؛ إمعاناً في تعذيبهم وإهانتهم، ويقاسون مع ذلك حرّ النار التي تحيط بهم من كل جانب.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في إعلام الإنسان أنه مخلوق طارئ على الكون فوائد عديدة، منها: أن يعلم أن له خالقاً عظيماً يستحق العبادة، وأن يعرف قدره بين سائر المخلوقات، فيتواضع، ويبتعد عن الغرور.
- ٢ - ورد إعلام الإنسان بالحكمة من خلقه في ثنايا الحديث عن بدء الخلق؛ ليستشعر الإنسان أثره في الحياة، وليعلم رفعة منزلته عند مولاه، فيعمل بما يقوده إلى السعادة والنجاة.
- ٣ - من رحمة الله بعباده أقام لهم دلائل الهدایة، وبين لهم سبيل التوحيد والطاعة، وهي ظاهرة في الأنفس والأفاق، وسائر المخلوقات.
- ٤ - ورد في الآية الكريمة ﴿كُفُورًا﴾ بصيغة المبالغة إنكاراً؛ لکثرة حصول الكفر من الإنسان مع أن دلائل الهدایة تحيط به من كل جهة، ويشعر بها في كل وقت.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾٦٠٦﴿عَيْنًا يَشَرِّبُ بِهَا عَبَادُ اللَّهِ يُفْجِرُونَهَا تَقْجِيرًا ﴾٦٠٧﴿يُوْفُونَ بِالنَّدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُهُ مُسْتَطِيرًا ﴾٦٠٨﴿وَيُطْعِمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حِدَّهِ مِسْكِينًا وَيَنْتَمِيَا وَأَسِيرًا ﴾٦٠٩﴿إِنَّا نَطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَرَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾٦١٠﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطْرِيرًا ﴾٦١١﴿فَوَقَعُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّنُهُمْ نَصْرَةً وَسُورُكًا ﴾٦١٢﴿وَجَرَّنُهُمْ بِمَا صَدَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾٦١٣﴿مُشْكِينٌ فِيهَا عَلَى الْأَرَابِيِّ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيًّا ﴾٦١٤﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظَلَالُهَا وَذُلُّتَ قُطْوَفُهُمْ نَذْلِيلًا ﴾٦١٥﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بَيَانِيَةً مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾٦١٦﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴾٦١٧﴿وَسُقُونَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجِيلًا ﴾٦١٨﴿عَيْنًا فِيهَا شَمْسَ سَلَسِيلًا ﴾٦١٩﴿وَيُطَوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ حَسَبَهُمْ لَوْلَا مَشْوِرًا ﴾٦٢٠﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ رَأَيْتَ شَمْ رَأَيْتَ نَعْيَا وَمَلَكًا كَيْرًا ﴾٦٢١﴿عَلَيْهِمْ شَابُ سَنْدِيسْ حُضُورٌ وَإِسْتِرِفٌ وَحَلوًا أَسَاورٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَهْبَمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾٦٢٢﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾٦٢٣﴾

### التفسير:

- ٦ - بدأ الحديث عن حزاء أهل الجنة بوصفهم بالأبرار، وفيه إشارة

إلى السبب الذي استحقوا من أجله هذا النعيم. ومن صور النعيم في الجنة: أنّهم يشربون الخمر الممزوجة بالكافور، فيُضفي على الشراب طيب الطعم والرائحة، ويتدفق من عينٍ في الجنة كما يتدفق الماء، وهم يتلذذون بهذا الشراب، ويستمتعون به، ويمكنهم تحويل مجرى العين إلى حيث شاؤوا زيادةً في إمتاعهم.

**٧ -** من الأعمال الصالحة التي كان الأبرار يعملونها في الدنيا واستحقوا بها دخول الجنة: الوفاء بالنذر، وهو ما يُلزم الإنسان به نفسه من طاعة، زيادة على ما افترض عليه، والخوفُ من العذاب يوم القيمة، وهو اليوم الذي تعظم أهواله وتُعْظَم جميع الخلاائق.

**٨ -** ومن أعمالهم الصالحة: إطعام المحتاجين مما يأكلون وممّا يرغبون من أنواع الطعام، والمحاجون أصناف: فمنهم المسكين الذي لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله، واليتيم الذي فقد أبوه، فحرّم من عطفه وعطائه، والأسير الذي فقد حريته، ووقع في أيدي أعدائه.

**٩ - ١٠ -** فقد جعل هؤلاء الأبرار غايتها من الإطعام الذي يقدم للمحتاجين، وهو نيل رضا الله سبحانه، فلا يتغرون من ذلك رَدًا لهذا الجميل ممّن يُقدّمونه له، ولا يطلبون منهم شكرهم عليه، فهو عمل خالص لوجه الله تعالى، ابتقاء رضوانه وخوفاً من عقابه يوم القيمة، وهو يوم شديد عظيم الأحوال فظيع الأحداث، تعبس فيه الوجوه خوفاً من العقاب، وتأثراً بما ترى من أحوال.

**١١ - ١٢ -** تَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ هُؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ، فَحَفِظَهُمْ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّنَهُمْ مِنْ الْفَزَعِ فِيهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَائِهِمْ نِصَارَةً وَحُسْنَاً فِي وُجُوهِهِمْ، وَسَعَادَةً وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَدْخَلَهُمْ مُقَابِلَ صَبْرِهِمُ الْجَنَّةَ دَارَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يَلْبِسُونَ فِيهَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ مُتَنَعِّمِينَ مُتَرَفِّينَ.

**١٣ - ١٤ -** ومن نعيم أهل الجنة جلوسهم على هيئة الاتكاء، فقد هيئت لهم الأماكن المناسبة لذلك من السرر والوسائل، ومن زيادة النعيم اعتدال الجو حولهم، فلا يُعانون فيها من إزعاج شدة الحر أو شدة البرد. ومع غياب شمس الجنة فهي مضيئه لأهلها على نحوٍ دائم، ومن زيادة تكرييم أهل الجنة

إدناء ظل الأشجار منهم، وتقريب ثمارها إليهم حتى لا يبذلوا جهداً في تناولها، ولن يكونوا في غاية الترف والنعيم.

**١٥ -** ويقوم الخَدُمُ في الجنة بالمرور على أهلها بأواني الطعام الفضية، وأكواب الشراب التي تجمع بين نقاء الزجاج وصفائه، وبياض الفضة ولمعانها، وما كان في هذه الأكواب من الشراب مناسب لحاجة الشاربين، بحيث لا يزيد فيها شيء يفضل ويبقى بعد شربهم، ولا تنقص عن حاجتهم، فيحتاجون إلى زيادة عليها. وفي المرور على أهل الجنة تكريم لهم، فلا يحتاج أحدهم إلى الانتقال إليه، إذ يأتيه كل ما يريد وهو في مكانه.

**١٧ -** ويُسْقَى أهلُ الجنة خمراً ممزوجاً بالزنجبيل؛ لتصبح رائحته أطيب وطعمه ألذ، ويُقدَّم لهم في كؤوس ممتلئة، ويشرب أهل الجنة من عينٍ فيها اسمها: سلسيل. وتَدُلُّ هذه التسمية على عذوبة الماء، وسهولة جريانه في الحلق.

**١٩ -** في هذه الآية وصف خَدَمُ أهل الجنة بأنهم غَلْمانٌ في مقتبل العمر، دائمو النضارة، فلا يهرمون ولا يتغير حالهم، هيئتهم في قيامهم وحركتهم كاللؤلؤ المتناثر، من روعة جمالهم، وحسن حالهم. وشُبُّهوا باللؤلؤ المنتشر؛ لأنَّ اللؤلؤ إذا تَفَرَّقَ انعكست أشعة بعضه على بعض فيكون أجمل وأروع، وإذا كان هذا حال الخدم فكيف يكون حال المخدومين؟

**٢٠ -** كل ما في الجنة نعيم دائم، وما يمتع به أهل الجنة ملك لهم، وإذا رأيت ما في الجنة من نعيمٍ تبين لك عَظَمَتُه وكثرة وتنوعه، ومُلْكُ المؤمن في الجنة واسع، يزيد مُلْكُ أقلهم درجةً على عشرة أضعاف مساحة الدنيا، فكيف ب أصحاب الدرجات العلى؟

**٢١ -** يلبس أهل الجنة ثياباً من الحرير الرقيق أخضر اللون، تَعْلُوه طبقة أو طبقات أخرى من الحرير الشinin والمزرتش، ويُحَلِّي أهلُ الجنة بأساورٍ من فضة لتكميل زيتهم وزيادة جمالهم، ويَمُنُّ الله سبحانه عليهم بشرابٍ بالغ الطهارة، يُطَهِّر أجسامهم وقلوبهم.

**٢٢ -** كل هذا النعيم لأهل الجنة جزاء إيمانهم وطاعتهم لله في المنشط

والمكره، ومكابدتهم في الدنيا وهم يستحقون الشكر على ما بذلوا وضَحُوا وتحملوا، وما أعظمه من جزاء، وما أروعه من شكر!! .

### الفوائد والاستنباطات:

**١ - النَّذْرُ:** هو التزام المرء القيام بطاعة زيادة على الفريضة، وهو نوعان: النوع الأول بلا شرط وهو مستحب، والنوع الثاني يكون فيه العمل الصالح في مقابل أمر كشفاء مريض، أو انفراج كرب، أو حصول مأمول. وهذا النوع مكره؛ لِمَا فيه من اشتراط حصول نعمة في مقابل القيام بعمل صالح؛ ولذا نهى عنه رسول الله ﷺ وقال: «إِنَّهُ لَا يَرِدُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَسْتَخْرُجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ». (رواه البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر).

**٢ - وُصِفتْ أحداث يوم القيمة في آيتين في هذه السورة بالشَّرِّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَانَ شَرًّا مُّسْتَوْلِيًّا﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرًّا ذَلِكَ الْيَوْمُ﴾ والمقصود بالشر فيهما الشدائيد والأهوال التي تحصل فيه، وسُمِّيَ شرًا من باب التوسيع. (التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٣٠/٤٧).**

**٣ - وُصِفتْ أساور أهل الجنة في هذه الآيات بأنَّها من فضة، ووُصِفتْ في سورة الكهف بأنَّها من ذهب، ووُصِفتْ في سورة فاطر بأنَّها من ذهب ولؤلؤ، ويجمع بينها بأنَّهم يُحلَّون بصنف تارة، وبصنف آخر تارة أخرى، وقد يجمعون بين صنفين أو أكثر.**

**٤ - لم يطلب الأبرار من الخلق جزاءً ولا شكوراً** ﴿إِنَّمَا تُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ فمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَزَاءً وَشُكُورًا مقابل ذلك ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

**٥ -** بدأت هذه الآيات بذكرِ شرابِ أهل الجنة وختمت به؛ لأنَّه أروع ما يتلذذ به، ولشدة حاجة الإنسان إليه، وكثرة تأهيفه عليه، فهو لا يصبر على فُقدِه، كما يصبر على فقدان الطعام.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَذَكِّرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ الظَّلَالِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْ لَهُ لَيَلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبَدِّيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّحَدَ إِلَى رَبِّهِ سَيِّلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

### التفسير:

**٢٣ - ٢٤ - إننا** - لما لنا من القدرة العظيمة - نزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن الكريم مفرقاً حسب الحوادث والملابسات ، فاصبر - أيها الرسول - على كفرهم ، واحتمل أذاهم ، ولا تستجب لما يدعوك إليه من ترك الدعوة أو التنازل عن بعض الثوابت منْ كان منهم غارقاً في الإثم ، أو مُوغلاً في الكفر والعناد .

**٢٥ - ٢٦ - واما**ً وقتك بذكر الله تعالى ، والتقرب إليه بالأعمال الصالحت ، وخص الليل بمزيد من الطاعة والتقرب ، فأكثر فيه من التسبيح والسجود فإنه مظنة حضور القلب والخشوع وإجابة الدعاء .

**٢٧ - ٢٨ -** ولا تأبه بمَنْ كَذَبَك وكفر بك ، فإنهم منغمون بتفضيل الدنيا على الآخرة ، غير مبالين ولا مؤمنين باليوم الآخر ، وهو يوم ثقيلٌ لما فيه من أحداث عظام ، وأهوال جسام ، وهم غافلون عن خالقهم الذي أوجدهم من العدم بقدرته ، وأحسنَ خلقهم ، ومَكَّنَهم من مزاولة الأعمال ، وهو القادر سبحانه على إهلاكهم وتبدلهم بخلق آخرين يطیعونه إن شاء ذلك ، إلا أن حكمته اقتضت أن يُمهل خلقه ، ولا يَعْجِلَ بالعقوبة .

**٢٩ - ٣٠ -** إن هذه الآيات المنزلة على الرسول الكريم فيها موعظة للخلق أجمعين ، فمنْ أراد سلوك طريق الخير والهداية أخذ بالأسباب الموصولة إليه ، وأطاع ربِّه ، واستجاب لأمره . وهذه المشيئة لا يمكن أن تصدر من الإنسان إلا أن يشاء الله ذلك ، فهو سبحانه الخالق ومقدِّر الأمور في هذا

الكون، وكل مشيئة من الخلق تابعة لمشيئته المطلقة، وقد سبقت مشيئة الله سبحانه بدعوة عباده إلى طاعته والتقرب إليه. وهو سبحانه عليم بأحوال عباده حكيم في تقديره وأمره.

**٣١** - يدخل سبحانه في رحمته وجنته مَنْ يستحق ذلك، وهم المؤمنون من عباده، أما الظالمون فقد أَعْدَ لهم عذاباً أليماً يستحقونه جزاءً على فِعلِهم.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - لنزل القرآن الكريم مفرقاً منجماً حَكْم عديدة منها: تثبيت قلب النبي ﷺ، والتدرب في تعليم القرآن، وتربيبة الصحابة، وموافقة الحوادث والواقع.

**٢** - مقاومة ما يحصل من أعداء هذا الدين من إلهاء وصَدٌ عن سبيل الله لا ينبغي أن يُشغل المؤمن عن الذكر والعبادة.

**٣** - في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ جمع بين الآثم والكفور. والفرق بينهما أن الآثم هو المُقدم على المعاشي أيًّا كانت، والكفور هو الجاحد للنعمـة، فكل كفور آثم، وليس كل آثم كفوراً.

(التفسير الكبير، الفخر الرازى: ٢٥٩/٣٠).

**٤** - النص على تخصيص وقت الليل بالعبادة والسجود والتسبيح، دليل على فضيلة العبادة في هذا الوقت؛ لما فيه من صفاء النفس وسمو الروح، واستحضار الخشوع، والقُرْب من الله تعالى.

**٥** - وَضْفُ الدِّينِيَا بِالْعَاجِلَةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجِدُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ تعریض بحمامةٍ مَنْ يُؤْثِرُها؛ إذ رَضُوا بالدُّون لِأَنَّهُ عاجل، وليس ذلك من شيم أهل التبصر. (التحریر والتنویر لابن عاشور: ٤٠٨/٢٩).

**٦** - من الأدلة على أن القرآن كلام الله: كَشْفُه لخفايا النفوس، وما تُخْفي القلوب، فهو سبحانه العالم بذات الصدور، ولا يَخْفَى عليه من أحوال خلقه شيء.

**٧** - المشيئة المطلقة في هذا الكون لله سبحانه، وأيًّا مشيئة لأحد مِنْ خَلْقِه تابعة لها، ولا يمكن أن تقع إذا خالَفتُها ولم تَدْرُ في فلکها. والمقصود هنا المشيئة الكونية لا الشرعية.

٨ - تُعد سورة الإنسان مبيّنة لسوره القيامة، فسوره القيامة أكدت حصول اليوم الآخر، وسوره الإنسان بيَّنَتْ ما يكون في هذا اليوم، وما أَعَدَ الله فيه لصِنْفِي الناس: الكفار والأبرار، كما أَنَّها تذكر الطريق للنجاة يوم القيمة .

